



تطور نمو المفاهيم عند الطفل

موضوع المفاهيم و البحث فيها قد عولج من قبل الباحثين في مختلف الاختصاصات و منها علم النفس العرقي، و علم التربية. و طرحنا للموضوع هنا يندرج ضمن هذين المجالين، و لا نخرج إلى الجوانب العلمية الأخرى. و نبدأ بتقديم بعض التعاريف لكلمة " المفهوم "

على تعوينات

معهد علم النفس و علوم التربية - جامعة الجزائر

و يقوم المفهوم على خاصيتين أساسيتين هما التجريد و التعميم. فالتجريد هو انتقال من الملموس إلى المفهوم و أما التعميم فهو عملية جمع خصائص مشتركة بين موضوعات داخل مفهوم واحد و سحبها على فئة لا متناهية من

2- و يعرف " لجوندر Legendre " المفهوم بأنه : > تمثيل ذهني عام للسمات المشتركة و الثابتة بين فئات من الموضوعات القابلة للملاحظة و الذي يمكن تعميمه على كل موضوع يمتلك نفس السمات <<.

تعريف المفهوم:

1- يعرف المفهوم " دو لاندشير DeLandsherre " المفهوم بأنه : >> تمثيل رمزي يتشكل من الخصائص المشتركة بين مجموعة من الأشياء العينية <<.

الموضوعات الممكنة المشابهة لها (Galisser).

المفهوم في مجال علم النفس

يعرف "برونر Bruner" المفهوم على أنه >> عملية استنتاجية دالة تتم من خلال نشاط تصنيفي <<. أما "كارول Carrol" فإن >> المفاهيم مجموعة من المميزات الخاصة بتجربة عضوية شخصية، إنها تتكون عن طريق التجريد انطلاقاً من فئات مبنية لها علاقة بتجربة ذهنية ثم تعلمها من طرف العضويات عبر مراحل تاريخها <<.

المفهوم في مجال البيداغوجيا :

في هذا المجال، يرتبط تعلم مفهوم معين بقدرة المتعلم على تشخيص وتحديد معايير المفاهيم، أي التعرف على موضوع باعتباره عنصراً من عناصر مفهوم أو فئة من خلال عمليات التمييز والتصنيف، كما يرتبط بالقدرة على الاستجابة ورد الفعل تجاه مؤشرات أو علامات دالة على خصائص موضوع أو سماته. ومن أهداف تعليم المفهوم مايلي:

- التعرف على موضوع باعتباره عنصراً ضمن فئة مفهوم معين.
- رد الفعل بكيفية ملائمة تجاه عناصر أو وضعية معينة.
- تسمية أو وصف أو تعريف موضوع معين.
- تعميم و سحب سلوك على وضعيات و مجالات أخرى.
- زيادة على كل هذا، فإن المفهوم الذي ينطبق على مجال العلوم هو المفهوم الأميريقي، وهو ذو علاقة مباشرة مع الواقع الحسي بحيث يصف هذا الواقع بواسطة معلومات محددة و لا يحمل دلالات نظرية واسعة.

عملية بناء المفهوم: تتم عملية بناء

المفهوم عن طريق التجريد و التعميم و بواسطة عمليات الملاحظة و المقارنة و التجريب و التفكير. في العملية التعليمية، يستطيع المتعلم حسب نضجه الذهني أن يبني مفاهيم تنظم المعارف الخاصة في فئات و أصناف، أي في مفاهيم تمكنه من تنظيم و تفسير الأحداث و المعطيات و الموضوعات و الأشياء. وبهذه العملية يتعلم المتعلم المفاهيم، أي يتعلم كيف يقدم نفس الجواب المتعلق بفئة من الوضعيات و الموضوعات و الأحداث التي تمتلك نفس الخصائص. وهكذا يتجاوز المتعلم الربط الآلي بين استجابة و مثير. و يستطيع رد الفعل اتجاه وضعيات متنوعة. و للتمكن من هذه العملية فإنه ينبغي الاعتماد على بيداغوجيا الوضعيات عن طريق خلق وضعيات تثير البحث و اكتساب المفاهيم انطلاقاً من ملاحظة الواقع و التمكن من استخراج خصائصه و تنظيمها في فئات تكون المفاهيم. و لابد من ربط دائم بين الواقع و المفهوم.



تكون المفاهيم عند الطفل :

يتصف تفكير الطفل في البداية بالسطحية، لا قدرة له على تجميع المضمون، و كذا عجزه عن التشبيه و التوحيد، و لكن يتمكن من إدراك التفتت و الانقسامات. و لا يتأني إلى النضج الفكري للقيام بهذه العمليات إلا عند البدء في الكلام و تستقر الصيغ اللفظية لتسد فراغ التصور الذهني و تتحقق وحدة الفكرة.

و قبل أن يستطيع الطفل الخروج من الكثرة إلى الوحدة، و رد مختلف عناصر الموقف أو الأجزاء المتفرقة إلى الكل الموحد فهو ينمو نحو الثنائية أو الزوجية (Couples)، فالزوج يسبق الفرد، و الثاني تسبق الأحاد. و هذا الاتجاه ليس قاصراً على الطفل وحده، و إنما يوجد عندنا نحن الكبار كذلك، و ذلك في تمييز الأشياء بأضدادها. فمقابلة الأشياء و الألوان و الألفاظ بالضد، و تعريف الأبيض و الصغير و الذكر ... بأنه الذي ليس أسود أو كبير أو أنثى ... هي أسهل وسائل المعرفة. و ينتج عن هذه العملية (الثنائية) عمليتان هما: "التشبيه و المقابلة" ثم "توحيد و تمييز". فالأسود و الأبيض كلاهما (لون)، و الصغير و الكبير يشيران إلى الحجم.

و لا يمكن للطفل أن يرد الكثرة إلى الوحدة إلا باختزال الكثرة في الزوج المتضاد أو المجاور، أو الذي قبل، الذي بعد، الطرف الآخر، فهو يتغلب على تباين الأشياء بمزاوجتها. و لو لم يدرك العلاقة بين طرفي الثنائي، أو يتدخل بعد تقدير الزمان و المكان، فالمسألة لا تتعدى أنه بالتشبيه و التمايز يستدعي كل طرف الآخر و يذكر بالشيء نقيضه و ضده.

و تقدم تفكير الطفل يسمح له بالتعرف على المكان ليتقدم إدراكه الحسي في ترتيب 3 أو 4 أشياء ذات أحجام أو أوزان متباينة. كما تسمح له ذاكرته بإدراك عنصر الزمان لإدراك ما مضى و ما



فهم طفل في سن الثامنة لهذه الفكرة العامة أوضح وأبسط وأكثر ثباتاً مع مرور الوقت.

وأخيراً فاليسر الذي يعد إشارة لمدى كون المفهوم متاحاً لاستخدامه في التفكير، و الدرجة التي بها يمكن للمفهوم أن يتناقل إلى الغير. فطفل الخامسة يصعب عليه التكلم و شرح معنى "الخير" بينما يمكن لمن بلغ سن العاشرة أن يتكلم بسهولة عنه أو عن مفاهيم مثلها. و المشكلة التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار ميل الصغير للنظر إلى المفهوم على أنه مطلق لا نسبي. فلا يتصور مثلاً :

أنه يمكن استخراج ألوان أخرى من اللون الأسود، و هي: الرمادي الداكن و الفاتح... لذلك فتعليم الصغير أن يرى الجانبين المطلق و النسبي للمفهوم قوامه أن يصدق أولاً كون المفهوم يؤكد أبعاداً مختلفة، و يتعلم النظر إليه من وجهتي نظر.

بالنسبة للتعليم التدريجي من قبل الأطفال لبعض المفاهيم كالشكل الهندسي، و الحجم النسبي و المسافة و العمق و العدد و الزمن... و غيرها، فهي تنمو نمواً تدريجياً و تتضح شيئاً فشيئاً حسب درجة الاحتكاك بها و بمن يستعملها من الكبار. لكن بينت بعض البحوث أن الأطفال الذين يلتحقون برياض الأطفال يكتسبون هذه المفاهيم و غيرها أسرع من غيرهم. و أهم وسيلة لذلك هو استعمال الإدراك الحسي في المواقف التي ينبغي أن تظهر المفاهيم، و بذلك يرتبط المفهوم باللفظ من جهة و بالموقف أو المواقف التي يظهر فيها و درجات ظهوره و هكذا.

المراجع

- 1- النمو التربوي للطفل و المراهق. د. الدسوقي، دار النهضة العربية مصر.
- 2- La formation du symbole chez l'enfant, Piaget : J.
- 3- معجم التربية . سلسلة علوم التربية المغرب.

على كل الأنواع بما فيه الورد. في تمايزه عن الفاكهة التي تشتمل على كل أصناف الفاكهة. و تساعد اللغة على وصف وتفسير هذه المجموعات المصنفة بما يدعم عملية التجريد و الإدراك العقلي. يرى "بياجيه Piaget" أن تكون المفاهيم يقوم على أساس تعميم و نقل التعلم من خلال التنبهات. فتفوق الإنسان على الحيوان يأتي من قدرته على تنظيم قدر أكبر من الخبرة بعضها فقط هو حسي، عن طريق استخدام الرموز بطرق مختلفة كثيرة، و أهم هذه الرموز اللغة.

تغيرات المفاهيم مع النمو:

تتغير مع النمو ثلاث خصائص للمفاهيم هي :

صدقها و مكانتها و يسرها. فأما الصدق فمعناه الدرجة التي بها يتفق فهم الصغير للفكرة الكلية المدركة مع فهم الهيئة الاجتماعية الأكبر لهذه الفكرة التي تمثل المفهوم. فمفهوم الصغير قبل الرابعة عن كلمة أم يختلف عن ذلك الذي عند ذوي سن 10 و عن الكبار، لكن كلما كبر كلما اقترب مفهومه للدلالة الأكثر صدقاً.

أما المكانة أو المركز فيشير لدرجة المفهوم من حيث الوضوح و الثبات و انضباط استخدامه في التفكير، ففكرة طفل قبل الرابعة عن الحجم فكرة غائمة، بينما

سيأتي. إلا أن المقارنة بين الأشياء لا تحدث مثنى و إنما بالتمييز بين الأصغر و الأكبر، و الأثقل و الأخف... بعد هذه العملية ينتقل الطفل بتفكيره إلى المجموعة عوض الزوج، و بالتالي تبقى المجموعة وحدة للفكر ابتداء من أبسط درجاته إلى أرقى مراحلها (الذكاء التأملي). و تظهر لدى الصغير التصنيفات و التسلسلات و العلاقات... التي هي مجموعات. بعد أن كان يربط بين الزوج بتضاده.

و هكذا يبقى عقل الطفل يعمل منذ النشاط الحسي الحركي في تكوين عالمه العقلي الخاص من مجموعات تراكيب، و هو يصل إلى هذا التجميع بعمليات جمع و طرح و قسمة... سواء فيما يتعلق بأصناف الأشياء و بعلاقاتها المنطقية، أو في مجالات الزمان و المكان و الحركة، بل في مجال الافتراض العقلي المجرد.

فمتى تجمعت عنده أشياء من صنف واحد فهو يؤلف بينها تحت اسم واحد يعبر عن هذا الصنف كوحدة و يميز في نفس الوقت بينه و بين صنف آخر. فبعد أن يعرف أن هذه الزهرة الحمراء ذات الرائحة الطيبة و الأشواك في غصنها بأنها "وردة"، يضم إلى نفس الصنف الورد الأصفر و الأبيض.... في تمايزه عن الزهور الأخرى التي ليست وردياً. ثم تجده يدرج تحت اسم الزهور